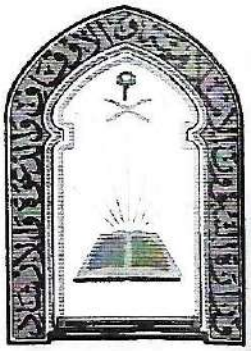

التفسير الميسر للقرآن الكريم

إعداد

د. حسن محمد باجودة

أستاذ الدراسات القرآنية البيانية

جامعة أم القرى بمكة المكرمة

الطبعة الأولى

١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

الجزء الثامن عشر

منشورات وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشا

الأمانة العامة لمسابقة القرآن الكريم

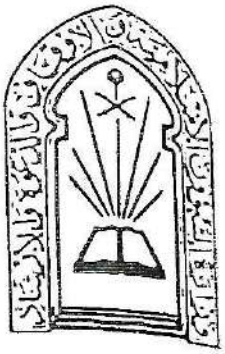

المملكة العربية السعودية
وزارة الشئون الإسلامية
والأوقاف والدعوة والإرشاد

التفسير البسيط للقرآن الكريم

إعداد
د. حسن محمد باجودة
أستاذ الدراسات القرآنية البيانية
جامعة أم القرى بمكة المكرمة

الطبعة الأولى
١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

الجزء الثامن عشر

منشورات وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد
الأمانة العامّة لمسابقة القرآن الكريم الدَّوْلِيّة

ح وزارة الشئون الاسلامية والأوقاف والدعوة والارشاد، ١٤٢١هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

باجودة، حســـن محمـــد

التفسير المبسط للقرآن الكريم ـ الرياض

٣٣٦ ص، ١٧×٢٤ سم

ردمك : ١ـ٢٣٧ـ٢٩ـ٩٩٦٠ (مجموعة)

٦ـ٢٣٨ـ٢٩ـ٩٩٦٠ (ج١٨)

١ ـ االقرآن ـ تفسير أ ـ العنوان

ديوي ٢٢٧,٣ ٢١/٣٣٤٠

رقم الايداع : ٢١/٣٣٤٠

ردمك : ١ـ٢٣٧ـ٢٩ـ٩٩٦٠ (مجموعة)

٦ـ٢٣٨ـ٢٩ـ٩٩٦٠ (ج١٨)

التفسير البسيط للقرآن الكريم

إعداد

د. حسن محمد باجودة

أستاذ الدراسات القرآنية البيانية

جامعة أم القرى بمكة المكرمة

الطبعة الأولى

١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

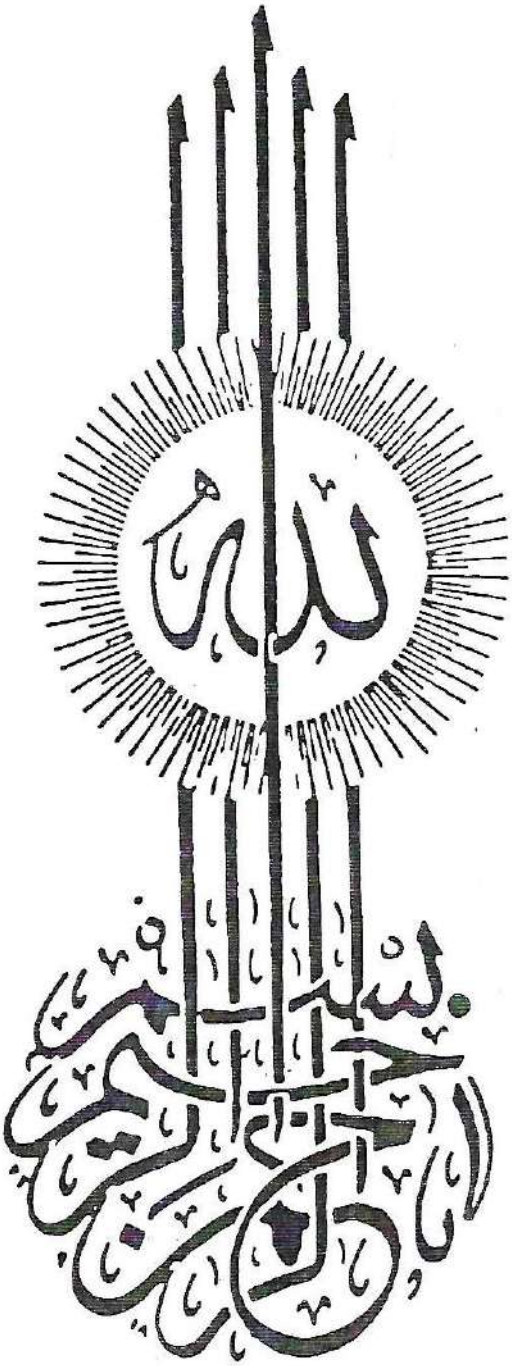
الله
بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيّدنا محمّد، وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد.

فهذا تفسيرٌ مبسّطٌ للجزء الثّامن عشر من القرآن الكريم، يغطّي سورة المؤمنون، وسورة النور، وجزءاً من سورة الفرقان. وقد قمت بعمله على غرار الأجزاء السّبعة عشر السّابقة. إنّ هذا الجزء الثّامن عشر، هو ميدان التّفسير للمتسابقين، في الحقل الأوّل، الّذي يشمل حفظ القرآن الكريم كاملاً مع التّفسير، من بين الحقول الخمسة للمسابقة، في المسابقة السنويّة الحادية والعشرين، الّتى عقدتها وزارة الشّئون الإسلاميّة والأوقاف والدّعوة والإرشاد، برئاسة معالي وزيرها الشّيخ صالح بن عبدالعزيز بن محمّد آل الشيخ، في أثناء الفترة من ٢٢/ ٦/ ١٤٢٠هـ حتّى ١/ ٧/ ١٤٢٠هـ الموافق ٢/ ١٠/ ١٩٩٩م وحتى ١٠/ ١٠/ ١٩٩٩م وكأنّ هذا التّفسير تتويجٌ للأعمال الّتي تمّت في مجال التّفسير، في أثناء المسابقة الحادية والعشرين. علماً بأنّ ميدان المتسابقين في المسابقة الثانية والعشرين، إن شاء الله تعالى، هو الجزء التّاسع عشر من القرآن الكريم.

وأنتهز هذه المناسبة المباركة، كي أوجّه خالص شكري وتقديري لوزارة الشّئون الإسلاميّة والأوقاف والدّعوة والإرشاد، وعلى رأسها معالي الوزير، على الفرصة الّتي منحتني إيّاها، بأن أقوم بعمل هذا التّفسير، الّذي حرصت فيه كما حرصت في سابقيه، على أمور أهمّها ثلاثة:

١ـ أن أبيّن مظاهر التّرابط بين الآيات الكريمات والموضوعات.

٢ـ أن أشير إلى الدّروس الّتي يمكن أن تستفاد.

٣ـ أن أنسب الأقوال كلّها إلى مصادرها.

وفي الختام أسأل الله تعالى أن يجعل هـذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، إنّه سميعٌ مجيب.

﴿ربّنا لاتؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا. ربّنا ولاتَحْمِلْ علينا إصْراً كما حملته على الّذين من قبلنا. ربّنا ولاتحمّلنا ما لاطاقة لنا به. واعفُ عنّا واغفر لنا وارحمنا. أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين﴾.

﴿سبحان ربّك ربّ العزّة عمّا يصفون. وسلامٌ على المرسلين. والحمد لله ربّ العالمين﴾.

وصلّى الله وسلّم على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين. والحمد لله ربّ العالمين.

مكّة المكرّمة
صبيحة يوم الجمعة ٩/ ١٠/ ١٤١٨هـ
الموافق ٦/ ٢/ ١٩٩٧م

كتبه الفقير إلى عفو ربّه
د. حسن محمّد باجودة
أستاذ الدّراسات القرآنية البيانيّة
وعميد كلّيّة اللّغة العربيّة
جامعة أمّ القرى بمكّة المكرّمة

أولاً
سورة المؤمنون

سُورَةُ الْمُؤْمِنُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾
وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ
فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ
أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾
فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ
لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ
يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ
الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن
سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ
خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا
الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا
آخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ
لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ
خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ ﴿١٧﴾

وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ
بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ
لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن
طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِى
ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ
وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ
أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ
غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ
إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ
مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا
رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى
بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا
وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ۙ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن
كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ
مِنْهُمْ ۖ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۖ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾

فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا
مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ
ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا
مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُوا۟
ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ
ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا
مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا
تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ
﴿٣٤﴾ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ
﴿٣٥﴾ ۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا
ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ
ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ
ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ﴿٤٠﴾
فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً ۚ فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ﴿٤٢﴾

مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٤٣﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ۖ
كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ ۚ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَٰهُمْ
أَحَادِيثَ ۚ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ
هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ
فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا
وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ
﴿٤٨﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ وَجَعَلْنَا
ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ
﴿٥٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا
تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ
فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ
فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ فَذَرْهُمْ فِى غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا
نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ
﴿٥٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم
بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾

وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾
أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ وَلَا نُكَلِّفُ
نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾
بَلْ قُلُوبُهُمْ فِى غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا
عَٰمِلُونَ ﴿٦٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ
﴿٦٤﴾ لَا تَجْـَٔرُوا۟ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾ قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى
تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ
بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ
ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ
﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌ ۚ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ
كَٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ
وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن
ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ ۖ
وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾
وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ﴿٧٤﴾

وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا۟ فِى طُغْيَٰنِهِمْ
يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ
وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ
إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ
وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ
وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ
ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ
ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا
لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ
إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن
كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ
﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ
﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ
مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن
كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾

بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ
وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا
بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ
ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ قُل رَّبِّ
إِمَّا تُرِيَنِّى مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِى فِى ٱلْقَوْمِ
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَٰدِرُونَ ﴿٩٥﴾
ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾
وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ
رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ
ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ
هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ فَإِذَا نُفِخَ
فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾
فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ
خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ
خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾

أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُوا۟
رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ
أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا
وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ
ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ
سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾
إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾ قَٰلَ
كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ
يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ
كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ
إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا
هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا
ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ
ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾

بين يدي التّفسير

(١)
(نعوت المؤمنين المفلحين وثوابهم)
الآيات (١ ـ ١١)

تقرّرَ الآية الكريمة الأولى من السّورة المكّيّة الكريمة فلاح المؤمنين وتذكر نعوتهم وتبيّن عظيم ثوابهم. ونعوت المفلحين من المؤمنين تشمل كلاً من العقيدة، والأخلاق أو السّلوك، والمعاملة. وإنّ ترتيب العناصر في هذا النّسق ينبّه إلى ترتيب أهمّيّتها. إنّ العقيدة الصّحيحة ركيزة الأخلاق الفاضلة الّتى تتجلّى في حسن السّلوك والمعاملة. ودليلاً على أهمّيّة العقيدة الصّحيحة يبدأ الحديث بذكرها وبذكر أهمّ نعوتها أعنى الصّلاة. ويأتى ذكر الصّلاة في أوّل النّعوت وفي آخرها كذلك. وفي أوّل نعوت المؤمنين هم ينعتون بالخشوع في صلاتهم. والخشوع في الصّلاة يدلّ على إقامة المؤمنين لها من ناحية، وعلى خضوع قلوبهم من ناحية أخرى. ولمّا كانت الصّلاة أهمّ أركان الإسلام في مجال العبادات لأنّ الله سبحانه وتعالى يُذْكَرُ فيها ذكراً كثيراً، بالقلب واللّسان والجوارح، فقد كان النّعت بعد ذلك ذا علاقة بذكر الله تعالى ذكراً كثيراً. إنّ المؤمنين في غير الصّلاة يُعْرِضون عن لغو القول وباطله إلى الحقّ وذلك بذكر الله تعالى ذكراً كثيراً. وهكذا تلهج ألسنة المؤمنين في الصّلاة وفي غير الصّلاة بذكر الله تعالى ذكراً كثيراً.

ولمّا كانت الزّكاة أهمّ أركان الإسلام في مجال المال فإنّ السّياق ينعت المؤمنين بأنّهم للزّكاة فاعلون ومؤدّونها أصحابها. وهكذا يتمّ الجمع بين الصّلاة والزّكاة جرياً على عادة القرآن الكريم في الجمع بينهما فيما يزيد على الثّمانين موضعاً. وهكذا يكون الحديث عن عقيدة المؤمنين من زاوية الصّلاة وذكر الله تعالى ذكراً كثيراً في الصّلاة وخارجها ومن زاوية الزكاة. وفي الحديث عن العقيدة من هذه الجوانب دليلٌ على أهمّيتها.

وفي مجال حسن الأخلاق والسّلوك يُنْعَت المؤمنون بأنّهم لفروجهم حافظون

عن ارتكاب جريمة الزّنى ويقتصرون على ما أحلّ الله تعالى لهم من الزّوجات والسّرارى، فإنّهم غير ملومين على الاستمتاع بهنّ. أمّا من ابتغى الاستمتاع وراء ذلك فإنّهم هم العادون المعتدون المتجاوزون الحلال إلى الحرام. وحينما يكون الحديث عن نعوت المؤمنين من زاوية حسن أخلاقهم وسلوكهم مبيّناً عفّتهم يكون ذلك دليلاً على أهمّيّة العفاف ووجوب الابتعاد عن صَغار الزّنى وإتيان الفاحشة. والحقيقة أنّ من أهمّ ما يميّز المؤمنين عفاف الفروج. وقد تأكّد لكلّ عاقل وبشهادة التّأريخ والواقع أنّ عفاف الجنسين عن الخَنا من أهمّ أسباب قيام الحضارات وطول عمرها، وأنّ فجور الجنسين من أهمّ أسباب انحطاط الحضارات وزوالها.

وفي مجال حسن المعاملة يُنْعَتُ المؤمنون بأنّهم يؤدّون الأمانة لمن ائتمنهم عليها، ويوفون بالعقود ويلتزمون بها. وإنّ رعاية المؤمنين للأمانات والعهود دليلٌ على أهمّيّة كلٍّ من الأمانات والعقود من ناحية، وعلى أنّ رعاية المؤمنين لهما دليلٌ على حسن معاملتهم الآخرين من ناحية أخرى.

ويعود السّياق إلى الحديث عن العقيدة مرّةً أخرى حينما يَنْعَتُ المؤمنون بأنّهم يحافظون على أداء الصّلوات في أوقاتها.

إنّ الإسلام الدّين الّذي لا يقبل الله تعالى من أحد ديناً سواه قد فتح زهاء ثلثي عالمه عن طريق الدّعاة إلى الله تعالى الّذين تحلّوا بهذه النّعوت من صحّة العقيدة، وحسن الأخلاق، والسلوك، والمعاملة. ما أحرانا أن نتأسّى بسلفنا الصّالح.

وإذا كان التّمكين للمؤمنين في الأرض ثمرة الاستمساك بهدي القرآن الكريم وهدي خاتم النّبيّين وأشرف المرسلين صلوات الله تعالى وسلامه عليهم أجمعين فإنّ ثوابهم في الآخرة عظيم. إنّهم يوم القيامة يرثون الفردوس، أعلى الجنّة وأوسطها، خالدين فيها.

وهكذا يجمع الله تعالى لمفلحي المؤمنين السّليمي العقيدة والأخلاق والسّلوك والمعاملة بين ثواب الدّنيا وحسن ثواب الآخرة. وإذا كانت آيات القسم تتحدّث عن نجاح المؤمنين في الدّنيا ونعوتهم، وفلاحهم في الآخرة وثوابهم، فإنّ آيات القسم

التّالـى تتحدّث عـن خَلْق الله تعالـى جنس الإنسان ورجـوعه إلى الله تعـالى يوم القيامة كـي يعود المنحرف عن سواء السّبـيل إلى الصّراط المستقيـم فيكون بإذن الله تعالى من المؤمنين المفلحين في الأولى والآخرة.

(٢)

(الله تعالى خلقنا ثمّ يميتنا ثمّ يبعثنا للحساب والجزاء)

الآيات (١٢ ـ ١٦)

لقد خلق الله سبحانه وتعالى جنس الإنـسان متمثّلاً في آدم عليه السّلام أبى البشر من خلاصـة مستلّة من طين، وصفوٍ مستخـلصٍ من أديم الأرض وظاهرها. واللّطـيف في الأمر أنّـه بالتّحـليل المعـمليّ تبـيّن أنّ الإنسان فـيه جميـع المعادن الأرضيّة. وهذا دليلٌ علميٌّ يؤيّد ما قرّره الـقرآن الكريم وبيّنه. ثمّ جعل الله تعالى نسل هذا الإنسان نطفةً وماءً صافياً يخرج من صلب الرّجل ويستقرّ في رحم المرأة، المكان الأمين، والـقرار المكين. ثمّ خلـق الله تعالى النّطـفة وصيّرها علـقةً، وهي القطعـة من الدّم الغليظ الجـامد، فخلق عزّ وجلّ الـعلقة وصيّرها مـضغة، وهي القطعة من اللّحـم قدر ما يمضغ، فخلق عزّ وجلّ المضغة عظامـاً وهيكلاً عظميّا، فكسا عزّ وجلّ العظام وألبسها لحماً. ثمّ أنشأ عزّ وجلّ الإنسان خلقاً آخر بأن نفخ فيه الرّوح. وهذه المرحلة الّتي تمتاز بنفـخ الرّوح تمتاز كذلك بأنّ الإنسان يأخذ فيها أحسن التّقويم وأعدل الخلق وأجمل الصّور الّتـي خلقه الله تعالى فيها. وكما يأخذ جنس الإنسـان أحسن الصّور يأخـذ كلّ حيوانٍ يمرّ في الـرّحم بالمراحل السّـابقة، وينال في هذه المرحلة هيئته الّتي أوجـده الله تعالى فيها. ومعروفٌ أنّ الإنسان يأتي بفضل الله تعالى مِـنْ حيث حُسْنُ التّقويم، وجمالُ الصّورة، وكـمالُ القَوام، على رأس قائمـة المخلوقات الأرضـيّة. ولمّا كان الإنـسان ينال أحـسن الّتقـويم في هذه

المرحلة أعقبها القول : ﴿فتبارك الله أحسن الخالقين﴾ ولمّا كانت هذه المرحلة متميّزةً عمّا سبقها من مراحل تأتي متتابعة بدليل مجيء فاء العطف في حقّها، وكانت هذه المرحلة طويلةً بطبعها حتّى تتمّ مرحلة الوضع كان ثمّة حرف العطف «ثمّ» الّذي يدلّ على التّرتيب مع التّراخي. وكما جاء حرف العطف «ثمّ» هنا جاء في القول : ﴿ثمّ جعلناه نطفةً في قرارٍ مكين. ثمّ خلقنا النّطفة علقة﴾.

وحرف العطف «ثمّ» يدلّ من ناحية على الزّمن المتراخي مع التّرتيب، ويدلّ من ناحية أخرى على التّحوّل إلى حالٍ أعجب وأغرب. إنّ جَعْلَ ذريّة آدم عليه السّلام، المخلوق من طين، وخَلْقَهُمْ من ماءٍ مهين، يومىء إلى التّرتيب الزّمنيّ مع التّراخي، وكذلك يومىء إلى الحال العجيبة بكون النّسل من سلالةٍ من ماء مهين : ﴿ثمّ جعلناه نطفةً في قرارٍ مكين﴾ وإنّ خلق النّطفة وتصييرها علقة أمرٌ غايةٌ في العجب : ﴿ثمّ جعلناه نطفةً في قرارٍ مكين﴾ وإنّ إنشاء الإنسان خلقاً آخر، بنفخ الرّوح فيه وأخذه أحسن تقويم وأجمل صورة وأملح قوام، أمورٌ غايةٌ في العجب، هذا إلى ما يقترن بهذه العمليّات حتّى تتمّ عمليّة الولادة من زمنٍ: ﴿ثمّ أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين﴾.

وبعد الخروج أحياء من بطون أمّهاتنا يميتنا الله تعالى، ثمّ يبعثنا يوم القيامة للحساب والجزاء، الثّواب أو العقاب.

(٣)

(سخّر الله تعالى لنا ما في السّماوات والأرض لنعتبر)

الآيات (١٧ ـ ٢٢)

هذا الإنسان الّذي خلقه الله تعالى في أحسن تقويم وأراد له أن يؤمن كي يُفْلح في الأولى والآخرة وهيّأ له بفضله أسباب الفلاح، قد سخّر الله تعالى له ما

في السّماوات والأرض كي يتّعظ ويعتبر. لقد خلق الله سبحانه وتعالى فوقنا سبع سماوات، بعضها فوق بعض، وما كان الله سبحانه وتعالى غافلاً عمّا خلق وعمّن خلق. إنّ الله سبحانه وتعالى هو الّذي يمسك السّماء أن تقع إلاّ بإذنه جلّ وعلا، وهو الّذي خلق الموت والحياة ليبلونا أيّنا أحسن عملا. والله تعالى الّذي خلق السّماء أنزل منها بواسطة السّحاب على الأرض ماءً بقَدَر فلا يزيد مع الرّحمة عن حاجة الخلق فيكون طوفاناً عارماً، ولا يقلّ فيكون مع ذلك السّنون ونقص الثّمرات وهلاك الحرث والنّسل. والله تعالى الّذي جعل من الماء كلّ شيءٍ حيّ أسكن الماء النّازل من السّماء في الأرض الّتي تحتفظ به بوسائل شتّى، من آبارٍ وعيون وجداول وأنهارٍ وبحيراتٍ وما إلى ذلك. وإنّ الله تعالى الّذي أسكن الماء في الأرض قادرٌ على ان يذهب به إلى غير رجعة على الفور في هيئة اتّجاه مياه الأمطار، بسبب شدّة الانحدار، إلى الماء المِلْح ــ مَثَلاً ـ أو على التّراخي، في هيئة تغلغل الماء في الأعماق البعيدة للأرض ـ مَثَلاً ـ إنّ الله سبحانه وتعالى أسكن الماء في الأرض ولم يذهب به بعيداً في الأعماق كي نشكر لله تعالى هذه النّعمة ونقوم بواجبها بأن نفرد الله تعالى بالعبادة. وقد أنشأ الله تعالى لنا نحن النّاس بهذا الماء الفرات جنّاتٍ من نخيلٍ نحصل منه على الرّطب والتّمر وما إليهما، وأعنابٍ نحصل منها على الزّبيب وما إليه. ولنا في تلك الجنّات فواكه كثيرة ومنها نأكل الحبوب والثّمرات. كما أنشأ الله تعالى وأوجد بالماء شجرةً مباركةً زيتونةً تخرج أساساً من طور سيناء تنبت بالدّهن وثمر الزّيت، وهو الزّيتون، وبصبغ للآكلين وهو زيت الزّيتون الّذي يَصْطَبِغ به الطّعام ويُغْمَسُ فيه الخبز. والمعروف أن الحبوب والزيتون من الغذاء الرّئيسيّ، وأنّ التّمر غذاءٌ رئيسيٌّ وفاكهة، وكذلك الزّبيب والعنب، وأنّ ثمّة فواكه خالصة. لقد أشار القرآن الكريم في أسلوبه المعجز إلى كلّ هذه الأنواع. وكما أشار السّياق إلى السّماوات والأرض، وإلى الماء الّذي أسقاه الله تعالى النّاس والنّبات أشار السّياق إلى الأنعام التي أسقانا الله تعالى من اللّبن الّذي في بطونها والّتي أسقاها الله تعالى الماء. إنّ لنا في الأنعام منافع كثيرة ومنها الأكل والانتفاع بجلودها وأصوافها وأوبارها وأشعارها. وعلى الإبل يحملنا الله تعالى في البرّ

ويحمل أثقالنا، وعلى السُّفن يحملنا الله تعالى في البحر ويحمل أثقالنا. إنّ علينا أن نعتبر ونتّعظ بالإيمان وبإفراد الله تعالى بالعبادة.

(٤)

(أرسل الله تعالى رسله بدين التّوحيد)

الآيات (٢٣ ـ ٥٠)

الله تعالى الّذي خلقنا ورزقنا أرسل رسله بدين التّوحيد، ابتداءً بنوحٍ عليه السّلام، وانتهاءً بمحمّد بن عبد الله ﷺ. وقد تحدّثت السّورة الكريمة عن كوكبةٍ من الرّسل الكرام، على الإجمال في حقّ بعضهم، وعلى التّفصيل في حقّ بعضهم الآخر، ابتداءً بنوحٍ عليه السّلام أوّل رسل الله تعالى والأب الثّاني للبشريّة، وانتهاءً بعيسى ابن مريم عليه السّلام، آخر أنبياء بني إسرائيل. لقد أرسل الله تعالى نوحاً عليه السّلام إلى قومه الّذين تفرّقت بهم السّبل عن سبيل الله تعالى فدعاهم إلى دين التّوحيد فأمرهم بأن يعبدوا الله تعالى وحده لا شريك له، وحثّهم على الخوف من الله تعالى بهجر الآلهة الّتي كانوا يعبدونها من دون الله تعالى. وعلى عادة الكبراء المترفين في كلّ أمّة قال الملأ الّذين كفروا من قومه عليه السّلام لأتباعهم: ليس نوحٌ إلاّ بشراً مثلكم يريد أن يكون له الفضل والشّرف عليكم بأن تكونوا تابعين له، ولو شاء الله تعالى أن يبعث رسلاً لأنزل ملائكةً من السّماء وما أرسل واحداً من البشر. إنّا ما سمعنا بهذا الّذي يدعو إليه نوحٌ من توحيدٍ وإفراد لله تعالى بالعبادة في آبائنا الأوّلين المشركين! ليس نوحٌ إلاّ رجلاً به جنون فتربّصوا به ريب المنون وانتظروا وقت موته كي تتخلّصوا من إزعاجه لكم بالدّعوة إلى التّوحيد! قال نوحٌ عليه السّلام يا ربّي انصرني عليهم بسبب تكذيبهم لي بما أرسلتني به. فأوحى الله تعالى إلى نوحٍ عليه السّلام أن يتقن عمل السّفينة بإذنٍ من الله تعالى ورعاية، بوحيٍ منه عزّ وجلّ وإلهام، فصنعها عليه السّلام على شكلّ صدر الطّائر. فإذا جاء أمر الله تعالى بهلاك القوم، وفار التّنور وانبجس الماء

وانفجر من المكان الّذي يُخْبر فيه، إيذاناً بانفجار الماء ينابيع من كلّ سطح الأرض، فاحمل في السّفينة معك من كلّ صنف زوجين، ذكراً وأنثى، وأَهْلَكَ إلاّ من سبق عليه قول الحقّ جلّ وعلا بهلاكه، ومَنْ آمن معه عليه السّلام وكانوا قليلين. وقد نهى الله تعالى نوحاً عليه السّلام أن يخاطبه عزّ وجلّ في الّذين ظلموا وأشركوا وكانوا خارج السّفينة فإنّهم مغرقون وفيهم ولد نوحٍ عليه السّلام كنعان أَوْ يام، فقد كان مشركاً. فإذا علوت أنت ومن معك على السّفينة فقل الحمد لله تعالى الّذي نجّانا من القوم الظّالمين المشركين. فإذا استوت السّفينة واستقرّت على اليابسة فقل ياربّ أنزلني إنزالاً مباركاً طيّباً وأنت خير المنزلين. إنّ في ذلك الّذي حدث لقومٍ نوحٍ عليه السّلام لآياتٍ بيّنات على قدرة الله تعالى لأهل مكّة ومن شاكلهم من المشركين. وإنّ الله سبحانه وتعالى ليختبر العباد بالشّرّ والخير ليعلم عزّ وجلّ علم ظهور أيصبرون أم يجزعون، أيشكرون أم يكفرون.

وبعد هلاك قوم نوحٍ عليه السّلام أنشأ الله تعالى وأوجد قوماً آخرين هم عادٌ قوم هودٍ عليه السّلام الّذين أهلكوا بريحٍ صرصرٍ عاتية ومعها صيحة العذاب، أو ثمود قوم صالح عليه السّلام الّذين أهلكوا بالصّاعقة وبصيحة العذاب الطّاغية على كلّ صوت. وسواءٌ كان المقصود عاداً أو ثمود فإنّ العبرة في الحالين قائمة. لقد قال هودٌ عليه السّلام أو صالحٌ عليه السلام لقومه ما قاله نوحٌ عليه السّلام لقومه من وجوب توحيد الله تعالى، وإفراده عزّ وجلّ بالعبادة، ونبذ الشّرك. وكان موقف الكبراء المترفين من قومه عليه السّلام هو موقف الكبراء المترفين من قوم نوحٍ عليه السلام. إنّهم كفروا بالله تعالى، وعصوا رسول الله تعالى إليهم، وأنكروا البعث، وبدّلوا نعمة الله تعالى كفراً. إنّهم قابلوا إحسان الله تعالى إليهم ونعمه عليهم بالجحود والكفران، وقالوا ما هذا الّذي يزعم أنّه رسول الله تعالى إليكم إلاّ بشرٌ مثلكم يأكل ممّا تأكلون منه ويشرب ممّا تشربون منه، ويخضع للضّرورات الّتي يخضع لها البشر، وينبغي أن يكون الرّسول مَلَكاً، إن كان ثمّة رسولٌ من الله تعالى إلى البشر. إنّكم أيّها الأتباع إن أطعتم بشراً مثلكم إنّكم إذاً لخاسرون، لأنّكم تخسرون متع الأولى ولا بعث في الآخرة. أيعدكم أنّكم إذا متّم وكانت

أجسادكم تراباً وعظاماً أنّكم مُخْرَجون للبعث والجزاء! بَعُدَ بَعُدَ ما توعدون. ما هي إلاّ حياتنا الدّنيا، نموت حينما تنقضي آجالنا، ونحيا حينما تلدنا أمّهاتنا، وما نحن لهذا الّذي يزعم أنّه رسولٌ من ربّ العالمين بمصدّقين له ومتّبعين.

قال الرّسول الكريم عليه صلوات ربّ العالمين وسلامه، يا ربّ انصرني على القوم الكافرين بسبب تكذيبهم لي. قال الله تعالى إنّهم عن قريبٍ ليصبحنّ نادمين على الكفر والتّكذيب. فأخذت صاعقة العذاب القوم بسبب استحقاقهم العذاب والهلاك، فجعلهم الله تعالى في الهوان كالغثاء الّذي يحمله السّيل ممّا لا خير فيه ولا نفع. فبُعْداً للقوم الظّالمين من رحمة الله تعالى وطرداً.

ثمّ أوجد الله تعالى أقواماً آخرين. ما تسبق من أمّةٍ أجلها الّذي أجّله الله تعالى وحدّده لهلاكها ولو طلبت على سبيل الاستهزاء الهلاك العاجل، ولا يستأخرون ولو أعلنوا الإيمان وطلبوا الإمهال. وكما أوجد الله تعالى الأمم متتابعة أرسل الرّسل متلاحقة. وكلّما جاء أمّةً من الأمم رسولُ الله تعالى إليها كذّبوه فأهلك الله تعالى بعضهم في إثر بعض، وجعلهم عبرةً للمعتبرين وأحاديث للغادين والرّائحين. فبعداً من رحمة الله تعالى لقومٍ لا يؤمنون بالله تعالى وبرسله.

ثمّ أرسل الله تعالى موسى عليه السّلام كبير أنبياء بنى إسرائيل وأخاه هارون عليه السّلام بآياته عزّ وجلّ البيّنات وحججه الواضحات، إلى فرعون طاغية مصر، وإلى كبراء القوم ومترفيهم ومسرفيهم. لقد استكبر فرعون وملؤه عن عبادة الله تعالى وكانوا قوماً يتعالون على الضّعفاء والفقراء، فقالوا في إنكارٍ واستعلاء: أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما من بنى إسرائيل أذلاّء لنا ومستعبَدون. لقد كذّب فرعون وقومه موسى وهارون عليهما السّلام فكانوا من المهلكين غرقاً في الماء المِلْح ببحر القُلْزُم أو الأحمر. ولقد آتى الله تعالى موسى التّوراة بعد النّجاة من فرعون وملئه لعلّ بنى إسرائيل يهتدون من الضّلالة.

وقد جعل الله سبحانه وتعالى عيسى ابن مريم عليه السّلام وأمّه البتول الّتي ولدته عليه السّلام من غير فحلٍ آيةً بيّنةً دالّةً على القدرة المطلقة للذّات العليّة، وآواهما عزّ وجلّ وصيّرهما إلى ربوةٍ ومكانٍ مرتفعٍ في بيت المقدس. وهذه الرّبوة

واسعةٌ ومستويةٌ، يمكن لساكنيها أن يستقرّوا فيها، وهي ذات ماءٍ جارٍ فوق سطح الأرض، يسهل لقاصده أن ينال حظَّه الموفور منه.

(٥)

(الرّسل وأممهم مأمورون بالأكل من الطّيّبات وعمل الصّالحات وثواب المسارعين في الخيرات وعقاب المستكبرين)

الآيات (٥١ ـ ٦٧)

خلق الله تعالى الجنّ والإنس من أجل أن يفردوه عزّ وجلّ بالعبادة. وفي السّياق يأمر الحقّ جلّ وعلا الرّسل الكرام، وأممهم تبعٌ لهم، بأن يأكلوا من الحلال الّذي طيّبه الله تعالى لهم دون الحرام، وأن يعملوا الصّالحات دون السّيئات. إنّه عزّ وجلّ بما يعملون ويقولون وينوون عليم. وإنّ هذه الملّة ملّةٌ واحدة، وهي دين الإسلام الّذي بعث الله تعالى به جميع المرسلين، والله تعالى ربّنا جميعاً فعلينا أن نتّقيه عزّ وجلّ حقّ تقواه. والإسلام بمعناه العام، أي إسلام الوجه لله تعالى وحده لا شريك له، بعث الله تعالى به جميع المرسلين ابتداءً بنوحٍ وانتهاءً بمحمّد، عليهم جميعاً صلوات ربّ العالمين وسلامه. والإسلام بمعناه الخاصّ، بعث الله تعالى به محمّد بن عبد الله ﷺ، خاتم النّبيّين وأشرف المرسلين، عليهم جميعاً صلوات ربّ العالمين وسلامه. والإسلام بمعناه الخاص هو الصّورة الأخيرة والكاملة من الحنيفيّة السّمحة الّتي بعث الله تعالى بها إبراهيم عليه السّلام أبا الأنبياء، عليهم جميعاً صلوات ربّ العالمين وسلامه.

وعلى الرّغم من الأمر السّماوي باتّباع الصّراط المستقيم، دين الإسلام لله تعالى ربّ العالمين، فإنّ الأتباع تقطّعوا جماعات، وتفرّقوا شيعاً. والعجيب في الأمر أنّ كلّ حزبٍ فرحٌ وسعيدٌ بما لديه لاعتقاده أنّه يسير في الصّراط المستقيم.

والعجيب في أمر الأحزاب المتفرّقة عن سبيل الله تعالى أنّها تظنّ أنّ إمداد الله تعالى لها بالمال والبنين دليلٌ على رفيع منزلتها عند الله تعالى، ولا تشعر أنّ ذلك إمهالٌ من الله تعالى لهم كي يعودوا إلى الصّراط المستقيم وإلاّ كان ذلك على الحقيقة استدراجاً لهم ومكراً بهم. أمّا المؤمنون على الحقيقة فإنّهم هم الّذين يشفقون من عذاب الله تعالى بباعث الخشية منه جلّ وعلا، والّذين هم بآيات ربّهم الشّرعيّة والكونيّة يؤمنون، والّذين هم بربّهم لا يشركون معه غيره في العبادة، والّذين يؤتون ما آتوا من صالح الأعمال وقلوبهم شديدة الخوف ألاّ يتقبّلها الله تعالى بفضله لأنّهم على علمٍ أكيدٍ بأنّهم إلى ربّهم راجعون يوم القيامة. إنّ من نعوت هؤلاء أنّهم يسارعون في الخيرات ويسبقون إليها وهم في علم الله تعالى من الّذين سبقت لهم السّعادة وثبت لهم الأجر العظيم. والله سبحانه وتعالى لا يكلّف نفساً إلاّ ما تتّسع له قدرتها، وعند الله تعالى كتاب الأعمال الّذي ينطق بالحقّ ولا يغادر صغيرةً ولا كبيرةً إلاّ أحصاها.

أمّا الكافرون فإنّ قلوبهم في ضلالةٍ وعَمايةٍ من هذا الكتاب العزيز والقرآن المجيد، ولهم أعمالٌ طالحةٌ غير الكفر همّ لها عاملون حتّى تنتهي آجالهم الّتي قدّرها الحكيم العليم. حتّى إذا أخذ الله تعالى مترفيهم بالعذاب ورؤساءهم في الكفر والضّلال، ويلحق بهم الأتباع، إذا هم يصرخون ولا سميع، ويستجيرون ولا مجير، ويطلبون صرف العذاب أو تخفيفه ولا مجيب. ويقال لهم في ذلك اليوم الّذي أخذهم العذاب فيه: لا ترفعوا أصواتكم مستغيثين، إنّكم اليوم لا تُنْصَرون. لقد كانت آياتي البيّنات في القرآن الكريم تتلى عليكم فكنتم ترتدّون عنها على أعقابكم بغضاً لها وفراراً منها، وتستكبرون بالحرم عن عبادتي واتّباع رسولي والإيمان بكتابي، وتسمرون بالّليل تهجرون المصطفى ﷺ وتقولون الهُجْرَ من القول والقبيح منه في حقّ القرآن المجيد، والرّسول الكريم، والأتباع المؤمنين.

(٦)
(بعض مظاهر عمى بصائر الكافرين وعذاب الله تعالى لهم)
الآيات (٦٨ ـ ٧٧)

لا يكاد العجب ينتهي من كفّار مكّة الّذين يتحوّلون من عمى بصيرة إلى آخر، والّذين لا يستفيدون مطلقاً من أخذ الله تعالى الشّديد لهم تباعاً، وإنّما يقولون : إنّه الدّهر، تاراتٍ وتارات، يَسُرُّ يوماً، ويسوء يوماً. إنّ كفّار مكّة لم يتدبّروا القرآن الكريم كما ينبغي أن يكون التّدبّر، ولو أنّهم فعلوا لاهتدوا ولكنّهم عطّلوا عقولهم. أم أنّ كفّار مكّة قد جاءهم وَحْدَهم ما لم يأت آباءهم الأوّلين من رسولٍ ووحي. لقد أتى السّابقين الرّسل والوحي، فالجميع سواء. أم أنّ كفّار مكّة لم يعرفوا رسولهم محمّداً ﷺ لأنّه من غيرهم ولم يَعِشْ معهم لذا فهم له منكرون ومنه نافرون. إنّ محمّداً ﷺ واحدٌ من أهل مكة، وعاش بين ظَهْرانَيْهم، وعرفوا الخلق العظيم الّذي فطره الله تعالى عليه، حتّى إنّهم لقّبوه قبل البعثة بالأمين. أمّ أنّ كفّار مكّة يقولون إنّ محمّداً ﷺ به جنون وبالتّالي فإنّ ما جاء به هذيان مجنون. إنّ كفّار مكّة يعلمون جيّداً رجاحة عقل محمّد ﷺ، ومن الأدلّة على ذلك نزع فتيل الحرب بين بطون قريش الّذين أصرّ كلّ بطنٍ منهم على أن يكون له شرف وضع الحجر الأسود في مكانه من الكعبة حينما أعادوا بناءها في الجاهليّة وكان المصطفى ﷺ في الخامسة والثّلاثين من عمره. لقد وضع المصطفى ﷺ الحَجَر في ردائه وأمر جميع البطون أن يمسكوا بأطراف الرّداء ويرفعوا الحجر ففعلوا حتّى دنا الحجر من موضعه، فأدخله المصطفى ﷺ بيده الشّريفة في موضعه. إنّ ما جاء به المصطفى ﷺ من قولٍ ليس هَذيان مجنون ولكنّه الحقّ من ربّ العالمين. إنّ القرآن الكريم أنزله الله تعالى بالحقّ، فالحقّ غاية القرآن، وإنّ القرآن الكريم بالحقّ نزل، فالحقّ مصاحبٌ للقرآن. وإنّ أكثر أهل مكّة كارهون

للحقّ في كلّ صوره. وإنّ الحقّ جلّ وعلا، لو اتّبع أهواء كفّار مكّة الّتي لا تُغْني من الحقّ شيئاً، وأتى في القرآن الكريم بما يوافق أهواءهم، الّتي ليست من الحقّ في شيءٍ، لفسدت السّماوات والأرض ومن فيهنّ وما فيهنّ. بَلِ الحقيقة الّتي لا يجهلها ولا يتجاهلها إلاّ مكابر أنّ الحقّ جلّ وعلا أتى أهل مكّة بذكرهم ومجدهم وسؤددهم وشرفهم بإنزال القرآن الكريم بلغتهم العربيّة على واحد من أبناء بلدتهم، هو محمّد بن عبدالله ﷺ الّذي جمع المجد من أطرافه. ولكنّ أهل مكّة عن عزّهم ومجدهم وشرفهم مُعْرضون لذا هم يكفرون بالرّحمن، ويعرضون عن القرآن، ويكذّبون خير الأنام. وليس وراء هذا النّوع من عمى البصيرة وراء، والعياذ بالله. أم أنّ محمّداً ﷺ يسأل كفّار مكّة أجراً مقابل دعوته لهم إلى صراط العزيز الحميد. إنّه عليه الصّلاة والسّلام لا يسألهم أجراً، إنّما أجره على الله تعالى، وأجر الله تعالى خيرٌ من كلّ أجر، وهو عزّ وجلّ خير الرّازقين.

الحقيقة يا محمّد أنّك تدعو أهل مكّة وكلّ النّاس إلى صراطٍ مستقيم، هو دين الإسلام لله تعالى ربّ العالمين، والحقيقة كذلك أنّ الّذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصّراط المستقيم لمنحرفون ومائلون. ولو أنّ ربّ العزّة والجلال رحمهم وكشف ما بهم من ضُرّ لعادوا لما نهوا عنه ولجّوا في طغيانهم يعمهون واستمرّوا في بغيهم يتحيّرون . ولقد أخذهم الحقّ جلّ وعلا بالعذاب فما ذلّوا لربّهم جلّ وعلا وما تضرّعوا. وحينما لم يخضعوا لربّهم جلّ وعلا بالسّرّاء والضّرّاء فتح الله تعالى عليهم باباً ذا عذابٍ شديد أخذهم بغتة فإذا هم ساكنون ساكتون يائسون من رحمة الله تعالى مستسلمون للهلاك.

(٧)
(المشركون يصرّون على كفران النّعم وإنكار البعث وتكذيب الآيات)
الآيات (٧٨ ـ ٩٢)

ليس لتعنّت المشركين حدود ولا لكفرهم نهاية. وإنّ السّياق ينبّههم إلى المزيد من نعم الله تعالى عليهم كي يقوموا بما يجب عليهم من شكر بإفراد الله تعالى بالعبادة ومع ذلك هم يكفرون. إنّ الله سبحانه وتعالى هو الّذي أوجد لهم السّمع، والأبصار، والأفئدة والعقول الّتي يكون بها الفهم والتّدبّر، ومع ذلك هم يكفرون ولا يكادون يشكرون. وإنّ الله سبحانه وتعالى هو الّذي خلقهم في الأرض ونثرهم وإليه يُحْشَرون بعد الموت ويرجعون. وإنّ الله سبحانه وتعالى هو الّذي يحيى من يريد له الحياة، ويميت من يريد له الموت، وهو الّذي جعل الّليل والنّهار مختلفين لوناً وطولاً وصفةً وما إلى ذلك. إنّ الكافرين لو استعملوا عقلوهم استعمالاً صحيحاً لأفردوا الله تعالى بالعبادة ولكنّهم عطّلوها فذهبت بهم الأهواء كلّ مذهب.

إنّ مشركي مكّة ومن شاكلهم قالوا مثل ما قال المشركون السّابقون الّذين أنكروا البعث بعد تحوّل أجسادهم تراباً وعظاما. إنّ البعث بعد الموت ـ حسب زعم المشركين جميعاً ـ من أساطير الأوّلين. ويعود السّياق إلى لفت الانتباه لبعض آيات الله تعالى ويصرّ المشركون على العناد. إنّ السّياق يأمر المصطفى ﷺ أن يسأل المشركين : ﴿لِمَن الأرض ومن فيها﴾ إن كنتم تعلمون الجواب الصّحيح فأعلنوه ورتّبوا عليه العمل الصّحيح. إنّهم يعلنون الجواب الصّحيح بأنّ كلّ ذلك لله تعالى ومع ذلك هم لا يتذكّرون ولا يتّعظون. كما يؤمر المصطفى ﷺ أن يسأل المشركين : ﴿من ربّ السّماوات السّبع وربّ العرش العظيم﴾ إنّهم يعلنون الجواب الصّحيح بأنّ الله تعالى هو ربّ كلّ شيءٍ ومع ذلك هم لا يتّقون الله تعالى ولا يتّقون النّار

الّتي وقودها النّاس الكافرون والحجارة والأصنام المعبودة من دون الله تعالى. كما يؤمر المصطفى ﷺ بأن يسأل المشركين : ﴿من بيده ملكوت كلّ شيءٍ وهو يجير ولا يجار عليه﴾ إنّهم يعلمون الجواب الصّحيح ويعلنونه. فالله تعالى هو وحده الّذي بيده ملك كلّ شيء وحقّ التّصرّف فيه وهو وحده الّذي يجير من يشاء ولا يستطيع أحدٌ أن يجير من لم يجره الله. وعلي الرّغم من جواب المشركين الصّحيح فإنهم لا يفردون الله تعالى بالعبادة ويتصرّفون كما لو أنّ قوىً خفيّةً شرّيرةً غلبت قواهم وعطّلت ملكاتهم فهم يشركون مع الله تعالى غيره في العبادة.

الحقيقة أنّ ربّ العزّة والجلال أتى المشركين بدين الإسلام الحقّ عن طريق رسوله ﷺ الموحَى إليه بالحقّ، والحقيقة أنّ المشركين لكاذبون. إنّ الله تعالى ما اتّخذ من ولدٍ يُعْبَد لا من الملائكة ولا من سواهم، وما كان معه تعالى من إله إذاً لذهب كلّ إلهٍ بما خلق وكان لكلٍّ وجهته ولعلا بعضهم على بعض فاختلّ نظام هذا الكون . تنزّه الله تعالى عن كذب المشركين الكافرين المعاندين.

(٨)

(إنذارٌ للكافرين بالعذاب الأليم، وتبشيرٌ للمؤمنين بالنّعيم المقيم)

الآيات (٩٣ - ١١٨)

يأمر السّياق المصطفى ﷺ بأن يدعو ربّه جل وعلا ويسأله إنْ أراه عزّ وجلّ في حياته عليه الصّلاة والسّلام ما يوعدون من العذاب فلا يجعله عليه الصّلاة والسّلام في القوم الظّالمين الّذين أخذهم العذاب. وإنّ الله تعالى قادرٌ على أن يريه عليه الصّلاة والسّلام العذاب الّذي يوعدون به. ولمّا كان الإذن بالقتال إنّما جاء بعد الهجرة فإنّ في سورة المؤمنون المكّيّة هذه يُرْشَدُ المصطفى ﷺ إلى أن يدفع سيّئة الكافرين بالصّفة الّتي هي أحسن والخَصْلة الّتي هي أجمل. إنّ الله تعالى أعلم بما يصف الكافرون به الذّات العلّية من كذب، ويلحقون بها من افتراء. ويؤمر

المصطفى ﷺ كذلك بأن يستعيذ بالله تعالى السّميع العليم من نزغات الشّيطان الرّجيم ووساوسه، وأنت يستعيذ بالله تعالى من الشّياطين ان يحضروا، لأنّهم يحضرون بالشّرور والآثام.

حتّى إذا جاءت علامات الموت أحد هؤلاء الظّالمين ورأى ملائكة العذاب قال ياربّي أُومر الملائكة بعدم قبض روحي وبإرجاعي إلى الحياة الدّنيا كي أعمل صالحاً بدلاً من السّيّئات الّتي تركت ورائي والموبقات الّتي أتيت فيما مضى من أيامي. ويُرْدَع الكافر عن هذا الطّلب بعنف ويقرّر السّياق أنّ ما جرى على لسانه مجرّد كلمة هو قائلها ولا معنى تحتها، ومجرّد عبارة هو يردّدها ولا فائدة من ورائها. وأمامَ ذلك الكافر برزخٌ إلى يوم يُبْعث الخلائقُ ومدّةٌ في القبر إلى يوم يقوم النّاس لربّ العالمين من أجل الحساب والجزاء.

فإذا نفخ إسرافيل عليه السّلام في البوق النّفخة الثّانية الّتي يحيا الخلائق بإذن الله تعالى إثرها لفصل الحساب فلا أنساب بينهم في ذلك اليوم تنفع، ولا أحساب تشفع، ولا يسأل أحدٌ عن أحد، لأنّ كلّ واحد عنده ما يشغله من نفسه ويكفيه. فمن ثَقُلَتْ موازينه بالحسنات فأولئك هم النّاجحون في ذلك الامتحان العسير. ومن خفّت حسناته وثقلت موازينه بالسّيّئات فأولئك الّذين خسروا أنفسهم، وبخسوها حظّها، وهم في نار جهنّم خالدون. تلفح النّار وجوههم وتحرقها وهم فيها عابسون. ويقال لهم : ألم تكن آيات الله تعالى في الكتاب العزيز تُتْلَى عليكم فكنتم بها تكذّبون. قالوا يا ربّنا غلبت علينا شقاوتنا وما سبق علمك إليه من تعاستنا وكنّا قوماً ضالّين منحرفين عن سواء السّبيل. يا ربّنا أخرجنا من النّار وردّنا إلي الحياة الدّنيا كي نعمل صالحاً غير الّذي كنّا نعمل فإن عدنا إلى ما نهينا عنه فإنّا إذن ظالمون لأنفسنا ونستحقّ أليم العذاب. قال الحقّ جلّ وعلا اقعدوا في النّار وابعدوا أذلاّء حقيرين ولا تكلّموني أبدا. إنّه كان فريقٌ من عبادي الصّالحين يقولون في الدّنيا يا ربّنا إنّنا آمنّا فاغفر لنا ذنوبنا، واستر عيبونا، وأسبغ علينا رحمتك فإنك خير الرّاحمين. فاتّخذتموهم موضع سخريتكم حتّى أنسوكم ذكري وإفرادي بالعبادة وكنتم منهم تضحكون. إنّي جزيت هؤلاء الصّالحين في هذا اليوم

الفوز العظيم في جنّات النّعيم بسبب صبرهم الجميل عليكم وعلى الطّاعات وعن المعاصي.

ولمّا كان الحقّ جلّ وعلا قد عَمَّر أولئك الظّالمين الوقت الّذي يتّعظ فيه من ألقى السّمع وهو شهيدٌ بقلبه، حاضرٌ بعقله، فإنّ ربّ العزّة والجلال يسأل أولئك الظّالمين: كم عدد السّنين الّتي قضيتموها في الأرض؟ وبسبب شدّة العذاب وهول الموقف يقول أولئك الظّالمون: لبثنا في الأرض يوماً أو بعض يوم فاسأل العادّين لأيّامنا من الملائكة والمحصين لأعمالنا. قال الحقّ جلّ وعلا: ما لبثتم إلاّ قليلاً بالقياس إلى طول العذاب أمامكم. لو أنّكم علمتم ذلك علم اليقين لأحسنتم العمل في الأولى كي تنالوا حسن الثّواب في الآخرة.

ويتحوّل السّياق ويخاطب النّاس أجمعين ويقول لهم: أفحسبتم أنّما خلقناكم باطلاً غير مكلّفين وأنّكم إلينا لا ترجعون للحساب والجزاء. فتعالى الله الملك الحقّ عن كلّ باطل، وتعاظم ربّ العرش الكريم الّذي لا إله إلا هو ولا معبود بحقٍّ سواه. إنّ الّذي يدعو مع الله تعالى إلهاً آخر لا برهان له مطلقاً على إشراكه مع الله تعالى في العبادة فإنّما حسابه يوم القيامة عند ربّه جلّ وعلا. إنّه لا يُفْلح الكافر أبداً.

وتأمر الآية الكريمة الأخيرة من السّورة كلّ إنسانٍ بأن يدعو ربّه جلّ وعلا بأن يغفر ذنوبه، ويستر عيوبه، ويسبغ عليه رحمته الّتي وسعت كلّ شيءٍ وحيّ، فالله سبحانه وتعالى هوخير من رحم، وقبل توبة عبده، وغفر ذنبه، وستر عيبه. ما أخلق النّاس جميعاً بهذا الدّعاء بعد أن أصبحوا أجمعين مسلمين لله تعالى ربّ العالمين.

التّفسير

(١)
(نعوت المؤمنين المفلحين وثوابهم)
الآيات (١ ـ ١١)

قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾
وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ
فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ
أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾
فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ
لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ
يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ
الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾

قدأفلح المؤمنون : قد أدرك الّذين صدّقوا الله ورسوله محمّداً ﷺ، وأقرّوا بما جاءهم به من عند الله، وعملوا بما دعاهم إليه ممّا سمّى في هذه الآيات، الخلود في جنّات ربّهم، وفازوا بطِلْبتهم لديه(١).

الّذين هم في صلاتهم خاشعون : الّذين هم في صلاتهم إذا قاموا فيها خاشعون. وخشوعهم فيها تذلّلهم لله فيها بطاعته، وقيامهم فيها بما أمرهم بالقيام به فيها(٢) عن عليّ رضي الله عنه قال : الخشوع في القلب، وأن تلين للمرء المسلم كنفك، ولا تلتفت(٣) والخشوع الضّراعة. وأكثر ما يُستَعْمَل الخشوع فيما يوجد على الجوارح. والضّراعة أكثر ما تستعمل فيما يوجد في القلب. ولذلك

(١) تفسير الطّبري ١٨/ ٢.
(٢) تفسير الطّبرى ١٨/ ٢
(٣) تفسير الطّبرى ١٨/ ٣

قيل فيما رُوِي: إذا ضَرَعَ القلب خشعت الجوارح(١).

والّذين هم عن اللّغو معرضون : والّذين هم عن الباطل وما يكرهه الله من خلقه معرضون (٢) واللّغو من الكلام ما لا يعتدّ به. وهو الّذي يورَد لا عن رويّةٍ وفكر، فيجرى مجرى اللّغا، وهو صوت العصافير ونحوها من الطّيور(٣).

والّذين هم للزّكاة فاعلون : والّذين هم لزكاة أموالهم الّتي فرضها الله عليهم فيها مؤدّون(٤).

والّذين هم لفروجهم حافظون: الفروج جمع الفَرْج، وهو الشّقّ بين الشّيئين، وفي التّنزيل العزيز(٥): ﴿وما لها من فروج﴾ شقوق وفتوق(٦) والفَرْج ما بين الرّجلين. وكُنّي به عن السَّوْءة، وكَثُرَ حتّى صار كالصّريح فيه(٧).

إلاّ على أزواجهم: إلاّ من أزواجهم اللّاتي أحلّهنّ الله للرّجال بالنّكاح(٨).

أو ما ملكت أيمانهم: يعنى بذلك إماءهم(٩).

فإنّهم غير ملومين : فإنّ من لم يحفظ فرجه عن زوجه وملك يمينه، وحفظه عن غيره من الخلق، فإنّه غيرموبَّخٍ على ذلك ولا مذموم، ولا هو بفعله ذلك راكبٌ ذنباً يلام عليه(١٠).

---

(١) مفردات الرّاغب الأصفهاني : «خشع» ١٤٨.

(٢) تفسير الطّبري ١٨/ ٤.

(٣) مفردات الرّاغب الأصفهاني «لغا» ٤٥١.

(٤) تفسير الطّبري ١٨/ ٤.

(٥) سورة ق ٦.

(٦) المعجم الوسيط : «فرج» ٢/ ٦٧٩.

(٧) مفردات الرّاغب الأصفهاني : «فرج» ٣٧٥.

(٨) تفسير الطّبري ١٨/ ٤

(٩) تفسير الطّبري ١٨/ ٤

(١٠) تفسير الطّبري ١٨/ ٤

فمن ابتغى وراء ذلك : فمن التمس لفرجه منكحاً سوى زوجته وملك يمينه(١).

فأولئك هم العادون: أي المعتدون(٢) عن ابن عبّاس : فسمّى الزّاني من العادين(٣) قال ابن زيد في قوله : ﴿فأولئك هم العادون﴾ قال : الّذين يتعدّون الحلال إلى الحرام(٤).

والّذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون: والّذين هم لأماناتهم الّتي ائتمنوا عليها، وعهدهم، وهو عقودهم الّتي عاقدوا النّاس راعون، يقول : حافظون لا يضيّعون، ولكنّهم يوفون بذلك كلّه(٥) أي إذا ائتمنوا لم يخونوا بل يؤدّونها إلى أهلها، وإذا عاهدوا أو عاقدوا أوفوا بذلك، لا كصفات المنافقين الّذين قال فيهم رسول الله ﷺ : آية المنافق ثلاث: إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان(٦).

والّذين هم على صلواتهم يحافظون : والّذين هم على أوقات صلاتهم يحافظون، فلا يضيّعونها ولا يشتغلون عنها حتّى تفوتهم، ولكنّهم يراعونها حتّى يؤدّوها فيها(٧).

أولئك هم الوارثون : روى ابن أبى حاتم عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : ما منكم من أحد إلاّ وله منزلان، منزلٌ في الجنّة ومنزلٌ في النّار. فإن مات ودخل النّار ورث أهل الجنّة منزله، فذلك قوله :

---

(١) تفسير الطّبري ١٨/ ٤

(٢) تفسير ابن كثير ٣/ ٢٣٩

(٣) تفسير الطّبري ١٨/ ٤

(٤) تفسير الطّبري ١٨/ ٤.

(٥) تفسير الطّبري ١٨/ ٥.

(٦) تفسير ابن كثير ٣/ ٢٣٩.

(٧) تفسير الطّبري ١٨/ ٥.

﴿أولئك هم الوارثون﴾(١).

الّذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون : ثبت في الصّحيحين أنّ رسول الله ﷺ قال : إذا سألتم الله الجنّة فاسألوه الفردوس فإنّه أعلى الجنّة وأوسط الجنّة، ومنه تفجّر أنهار الجنّة، وفوقه عرش الرّحمن(٢) والفردوس عند العرب: البستان ذو الكرم(٣).

تبيّن الآيات الكريمات نعوت المؤمنين وثوابهم الجزيل يوم القيامة في جنّات النّعيم. وأهمّ ما يلاحظ بشأن النّعوت أنّها تبدأ بتقرير خشوع المؤمنين في صلاتهم، وتنتهي بتقرير محافظتهم على الصّلاة بأدائها في أوقاتها وبأركانها وواجباتها وسننها.

والسّورة الكريمة تقرّر في أولى آياتها الكريمات أنّ المؤمنين بالله تعالى وبرسوله محمّد ﷺ قد أفلحوا ونجحوا. أمّا ثمرة الفلاح والنّجاح فتقرّرها الآيتان الكريمتان الأخيرتان في القسم. إنّهم : ﴿يرثون الفردوس هم فيها خالدون﴾.

إنّ المؤمنين المفلحين هم الّذين تخشع جوارحهم في أثناء الصّلاة دليلاً على خضوع القلب. إنّ القلب لا يمكن لأحد أن يراه، ولكن يمكن أن تُرى ثمرة تقواه أو فجوره. وبشأن المؤمنين هم يقدّمون الدّليل على إيمان قلوبهم بإقامة الصلاة، وعلى أكمل وجه، وذلك بأن يتجلّى خضوع القلب في خشوع الجوارح.

ولمّا كانت الصلاة يتجلّى فيها ذكر الله تعالى في أرفع الصّور، ولمّا كان الذّكر يتمّ باللّسان، وبالقلب، وبالجوارح الّتي تترجم إلى عمل ما يجرى على اللّسان والقلب، فإنّ من نعوت المؤمنين الخاشعين في صلاتهم الّتي يذكرون الله تعالى فيها ذكراً كثيراً، أنّ نعوت ألسنتهم بعد الصّلاة، من جنس نعوتها في الصّلاة. إنّ من نعوت المؤمنين أنّهم عن لغو القول وباطله معرضون ومبتعدون. وحينما يكون

---

(١) تفسير ابن كثير ٣/ ٢٣٩ وانظر تفسير الطّبري ١٨/ ٥.

(٢) تفسير ابن كثير ٣/ ٢٣٩

(٢) تفسير الطّبري ١٨/ ٦.

اللّسان بعيداً عن الباطل يكون قريباً من الحقّ، ويأتي ذكر الله تعالى ذكراً كثيراً على رأس الحقّ الّذي تلهج به ألسنة المؤمنين. وبذلك تكون ألسنة المؤمنين مشغولةً بذكر الله تعالى ذكراً كثيراً، في الصّلاة وفي غير الصّلاة.

ولمّا كانت الصّلاة عماد العبادات البدنيّة، وكانت الزّكاة عماد العبادات الماليّة، فإنّ السّياق يتحدّث عن الزكاة، جرياً على عادة القرآن الكريم، في الجمع بين الصّلاة والزكاة، فيما يزيد على الثّمانين موضعاً. إنّ من نعوت المؤمنين أنّهم للزّكاة فاعلون ومؤدّون. وإذا كانت الصّلاة الرّكن الثّاني من أركان الإسلام، فإنّ الزّكاة هي الرّكن الثّالث من أركان الإسلام. إنّ من نعوت المؤمنين المفلحين أنّهم يؤتون زكاة أموالهم إذا بلغت النّصاب، يوم الحصاد في حقّ الثّمار والحبوب، أو إذا حال الحول. وهذه الزّكاة تكون للفئات الثّمان الّتي نصّت عليها الآية الكريمة السّتّون من سورة التّوبة. قال عزّ من قائل: ﴿إنّما الصّدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها المؤلّفةِ قلوبُهُمْ وفي الرّقاب والغارمين وفي سبيل الله وابنِ السّبيل فريضةً من الله. والله عليمٌ حكيم﴾.

وإذا كان العبد يتّجه في الصّلاة إلى ربّه عزّ وجلّ بطريقٍ مباشر، فإنّ العبد يتّجه في الزّكاة إلى ربّه عزّ وجلّ مروراً بأخيه الإنسان المحتاج. وهكذا يتبيّن أنّ السّياق يبدأ بحقّ الله تعالى الّذي هو أولى من كلّ حق. وقد تبيّنّا أنّ الصّلاة حقٌّ خالصٌ لله تعالى، وأنّ الزّكاة حقٌّ فرضه الله تعالى للفقير في مال الغنيّ الّذي آتاه الله تعالى إيّاه. وهكذا تمرّ الزّكاة بالعبد، بأمر الله تعالى، في طريقها إليه عزّ وجل. وبذلك يكون نصيبٌ للعبد من الزكاة. وهذا التّحوّل إلى الإنسان بشأن الزكاة، نتبيّنه بصورةٍ أكبر في حديث السّياق عن حفظ المؤمنين فروجهم إلاّ على زوجاتهم أو ما ملكت أيمانهم. قال عزّ من قائل: ﴿والّذين هم لفروجهم حافظون. إلاّ على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنّهم غير ملومين. فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون﴾ وهذه العفّة رمزٌ للخلق العظيم للمسلم وسلوكه المستقيم.

وقد أباح الإسلام للمسلم أن يتزوّج حتّى أربع نسوةٍ بشروط، كما أباح له

ما ملكت يمينه من السّرارى دون حدّ، من أجل أن يكون المسلم عفيف الفرج، فإن زنى ـ لا سمح الله ـ بعد ذلك حلّ دمه وكان قتله عن طريق الرّمي بالحجارة. إنّ من نعوت المؤمن أن يحفظ فرجه عن جريمة الزّنى، وأن يستعفف حتّى يغنيه الله تعالى من فضله بالزّواج. وقد بيّنت الآية الكريمة الثّانية من سورة النّور عقاب الزّاني غير المُحْصَن أي غير المتزوّج. قال تعالى: ﴿الزّانية والزّاني فاجلدوا كلّ واحدٍ منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفةٌ في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفةٌ من المؤمنين﴾ فالمسلم مطلوبٌ منه أن يكون عفيف الفرج مطلقاً حينما يكون غير متزوّج، وأن يكون عفيف الفرج عن غير زوجه وما ملكت يمينه من الإماء وإلاّ كان العذاب شديدا.

والسّياق ينفى أدنى اللّوم عن المؤمن الّذي يعاشر أهله جنسيّاً وإماءه، وفي المقابل يصف من ابتغى المتعة عند غير الزّوجة والأَمَة بأنّه معتدٍ على حرمات الله تعالى، ومتجاوزٌ حدودَ الله تعالى. ومن البيّن أنّ من نعوت المؤمنين ابتغاء عفّة الفرج عن طريق الزّواج أو التّسرّى. وإنّ لنا نحن المسلمين أسوةً حسنةً في المصطفى ﷺ الّذي حُبّب إليه الطّيب والنّساء، وجُعِلَتْ قُرَّةُ عينه عليه الصّلاة والسّلام في الصّلاة الّتي هي عماد الدّين.

وهكذا يكون الحديث، بعد العبادة الّتي تمثّلت في الصّلاة والزكاة، عن السّلوك الّذي يتمثّل في عفّة الجنسين، دليلاً من أهمّ الأدلّة على نظافة المجتمع المسلم. وقد تأكّد من التّأريخ أنّ أهم سببٍ لقيام الحضارات وطول عمرها بإذن الله تعالى العفّة وطهر المجتمع، وأنّ أهمّ سببٍ لانهيار الحضارات وزوالها السّريع فجور الجنسين. وإنّ دين الإسلام هو دين العفّة والفضيلة، ولهذا لم تختف الحضارة الإسلاميّة من الوجود مطلقاً ولكنّها تدحرجت عن القمّة بسبب مخالفة الخَلْف والذّرارى، الخَلَف والسّلَف الصّالح، في النّعوت الّتي اتّسموا بها. وبفضل الله تعالى توجد كلّ الأسباب الّتي تكْفُلُ بإذن الله تعالى للذّرارى أن يرتقوا إلى القمّة الّتي تسنّمها آباؤهم وأجدادهم. إنّ كلّ الأسباب تكمن في وجوب الاستمساك بهدي القرآن الكريم وهدي خاتم النّبيّين وأشرف المرسلين عليهم جميعاً

صلوات ربّ العالمين وسلامه.

ولمّا كان السّلوك متعلّقاً بالذّات، وكانت المعاملات متعلّقةً بالذّات وبالآخرين، فإنّ السّياق يتحوّل إلى الحديث عن الحفظ للأمانة وللعهد، وهما من جنس المعاملات. وهكذا يتحقّق الانسجام في التحوّل المنطقيّ البديع من العبادة الّتي هي حقٌّ خالصٌ لله تعالى إلى السّلوك المتعلّق كثيراً بالذّات، إلى المعاملات المتعلّقة كثيراً بالآخرين. وهكذا يتقدّم ما ينبغي تقديمه، أعنى العبادة الّتي هي حقٌّ خالصٌ لله تعالى، ويأتي إثر ذلك الأَوْلى فالأَولى في الذّكر. وكان الحديث عن الزّكاة الّتي تمرّ في طريقها إلى الله تعالى بالإنسان التّمهيد لتحوّل الحديث من حقّ ربّ العباد إلى حقّ العباد من جهتي السّلوك والمعاملة.

إنّ من نعوت المؤمنين في معاملاتهم أداء الأمانات إلى أهلها، والوفاء بالعهود أي بالعقود. لقد جاء في وجوب أداء الأمانات إلى أهلها قول الحقّ جلّ وعلا في سورة النّساء(١) : ﴿إنّ الله يأمركم أن تؤدّوا الأمانات إلى أهلها﴾ وجاء في وجوب الوفاء بالعهود والعقود قول الحقّ جلّ وعلا في سورة الإسراء(٢) : ﴿وأوفوا بالعهد إنّ العهد كان مسئولاً﴾ وقول الحقّ جلّ وعلا في سورة المائدة(٣) : ﴿يا أيّها الّذين آمنوا أوفوا بالعقود﴾.

وإنّ محافظة المؤمنين على الأمانات الّتي ائتمنهم النّاس عليها، ووفاءهم بالعقود الّتي التزموا بها، رمزٌ لصدق المؤمنين في معاملة الآخرين.

وهكذا يتأكّد أنّ الإيمان إخلاصٌ في العبادة، ونظافةٌ في السلوك، وصدقٌ في المعاملة. وإنّ الإسلام الدّين الطّيّار فتح الثلثين من عالمه اللّذين لم يدخلهما جنديٌّ مسلمٌ واحد، بأخلاق الدّعاة، الّذين من أهمّ نعوتهم إخلاص العبادة لله تعالى وحده لا شريك له، وسموّ الأخلاق، وحسن المعاملة للآخرين. ما أحرانا نحن

---

(١) الآية ٥٨.

(٢) الآية ٣٤.

(٣) الآية ١

الأبناء أن نتأسّى بآبائنا وأجدادنا الصّالحين.

ولمّا كان إخلاص العبادة لله تعالى وحده لا شريك له رأس الأمر، وكانت الصّلاة عماد الدّين وأهمّ دليلٍ على إقامة الدّين أو تركه، كان ثمّة عودةٌ إلى الحديث في الصلاة. وإذا كان الحديث من ذي قبل عن الخشوع في الصّلاة وذلك في القول : ﴿قد أفلح المؤمنون. الّذين هم في صلاتهم خاشعون﴾ فإنّ الحديث هنا عن المحافظة على الصّلاة والمداومة على أدائها وذلك في القول : ﴿والّذين هم على صلواتهم يحافظون﴾ ويصحّ أن يقال عن صيغة جمع الصّلوات، إنّ في ذلك تأكيداً على وجوب المحافظة على أوقات كلّ الصّلوات، وبخاصّة الصّلوات الخمس المفروضة. وهكذا يحافظ المؤمن على أداء كلّ الصّلوات مع خشوع الجوارح دليلاً على خضوع القلب.

وما ثواب المؤمنين حينما يخلصون العبادة لله تعالى وتحسن أخلاقهم وسلوكهم ومعاملاتهم، وما ثمرة فلاحهم ونجاحهم في الدّنيا. الجواب في قول الحقّ جلّ وعلا : ﴿أولئك هم الوارثون. الّذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون﴾.

إنّ المؤمنين الّذين ينجحون في اختبار الدّنيا على النّحو الّذي بيّنته الآيات الكريمات هم الّذين يدخلون الجنّة ويخلدون فيها ويرثون الفردوس. ثبت في الصّحيحين أنّ رسول الله ﷺ قال : إذا سألتم الله الجنّة فاسألوه الفردوس، فإنّه أعلى الجنّة وأوسط الجنة، ومنه تفجّر أنهار الجنة، وفوقه عرش الرّحمن(١).

(١) تفسير ابن كثير ٣/ ٢٣٩.

(٢)
(الله تعالى خلقنا ثمّ يميتنا ثمّ يبعثنا للحساب والجزاء)
الآيات (١٢ ـ ١٦)

وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن
سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ
خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا
ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا
ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ
لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾

ولقدخلقنا الإنسان : هو آدم عليه السّلام خلقه الله من صلصالٍ من حمأٍ مسنون(١).

من سلالة من طين : السَّلّ : انتزاع الشّيء وإخراجه في رفق(٢) وسلّ الشّيء نزعه كسلّ السّيف من الغمد(٣) وسسيفٌ سليل : مسلول(٤) وقيل للولد سليل، كأنّه سُلّ من الأب(٥) أو كأنّه سُلّ من أمّه سلاً (٦)وسُلالة الشّيء: ما

(١) تفسير ابن كثير ٣/ ٢٤٠.

(٢) لسان العرب : «سلل».

(٣) مفردات الرّاغب الأصفهاني : «سل» ٢٣٧.

(٤) لسان العرب : «سلل».

(٥) مفردات الرّاغب الأصفهاني : «سل» ٢٣٧.

(٦) معجم مقاييس اللّغة : «سل» ٣/ ٦٠.

استُلَّ منه(١) وقوله تعالى : ﴿من سلالـة من طين﴾ أي من الصّفو الّذي يُسَلّ من الأرض(٢) فالسّـلالة هي المستلّة من كـلّ تربة. ولذلـك كان آدم خلق مـن تربة أخذت من أديم الأرض(٣) قال قتادة : استلّ آدم من طين، وخلقت ذرّيّته من ماءٍ مهين(٤).

ثمّ جعلناه نطفة: النّطفة الماء الصّافي. ويعبّر بها عن ماء الرّجل(٥).

في قرار مكين : هو حيث استقرّت فيه نطفة الرّجلّ من رحم المرأة. ووصفه بأنّه مـكين لأنّه مُكّن لذلـك وهُيّيء له ليسـتقرّ فيه إلـى بلوغ أمره الّذي جعـله له قرارا(٦).

ثمّ خلقنا النّطفة علقة : ثمّ صيّرنا النّطفة الّتي جعلناها في قرارٍ مكين علقة، وهي القطعة من الدّم(٧).

فخلقنا العلقة مضغة: المضغة القطعة من اللّحم قدر ما يُمْضَغ ولم يَنْضَج(٨) والمضغة قطعةٌ من اللّحم لا شكلّ فيها ولا تخطيط(٩).

فخلقنا المضغة عظاما: فجعلنا تلك المضغة اللّحم عظاما(١٠) يعنى شكّلناها

---

(١) لسان العرب : «سلل».

(٢) مفردات الرّاغب الأصفهاني : «سل» ٢٣٧.

(٣) تفسير الطّبري ١٨/ ٦ وأديم كلّ شيءٍ ظاهره.

(٤) تفسير الطّبري ١٨/ ٧.

(٥) مفردات الرّاغب الأصفهاني : «نطف» ٤٩٦.

(٦) تفسير الطّبري ١٨/ ٧.

(٧) تفسير الطّبري ١٨/ ٧.

(٨) مفردات الرّاغب الأصفهاني : «مضغ» ٤٦٩.

(٩) تفسير ابن كثير ٣/ ٢٤٠.

(١٠) تفسير الطّبري ١٨/ ٨.

ذات رأسٍ ويدين ورجلين بعظامها وعصبها وعروقها[1] وفي الصّحيح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : كلّ جسد ابن آدم يبلى إلاّ عجب الذّنب، منه خُلِق ومنه يركّب[2].

فكسونا العظام لحماً: فألبسنا العظام لحما[3].

ثمّ أنشأناه خلقاً آخر: ثمّ أنشأنا هذا الإنسان خلقاً آخر[4] عن ابن عبّاس :نفخ الرّوح فيه[5] في الصّحيحين عن أنس أنّ رسول الله ﷺ قال : إنّ الله وَكَلَ بالرّحم مَلَكاً فيقول : أَيْ[6] ربّ نطفة، أيْ ربّ علقة، أيْ ربّ مضغة. فإذا أراد الله خلقها قال : أَيْ ربّ ذكرٌ أو أنثى؟ شقّيٌ أو سعيد؟ فما الرّزق والأجل؟ قال فذلك يكتب في بطن أمّه[7].

فتبارك الله أحسن الخالقين : البركة ثبوت الخير الإلهيّ في الشّيء[8] وإذا كان تبارك بمعنى تمجّد أو تعظّم أو تعالى وما إلى ذلك، فإنّه يكون صفة ذات، أي ذو المجد والعظمة والتّعالى. وإذا كان من البركة، أي التّزايد في الخير من قِبَلِه، فإنّه يكون صفة فعل، أي زاد خيره وتكاثر عطاؤه[9].

---

(١) تفسير ابن كثير ٣/ ٢٤٠.

(٢) تفسير ابن كثير ٣/ ٢٤٠ والعَجْب بفتح العين وسكون الجيم : العظم الّذي في أسفل الصُّلب عند العَجُز. لسان العرب : «عجب».

(٣) تفسير الطّبري ١٨/ ٨.

(٤) تفسير الطّبري ١٨/ ٨.

(٥) تفسير الطّبري ١٨/ ٨.

(٦) أيْ : حرف نداء.

(٧) تفسير ابن كثير ٣/ ٢٤١.

(٨) مفردات الرّاغب الأصفهاني : «برك» ٤٤.

(٩) انظر البحر المحيط ٦/ ٤٨٠ وتأمّلات في سورة الفرقان للمؤلّف ص ٣٣ الطبعة الثّانية. مكّة المكرّمة ١٤١٤هـ ١٩٩٣م.

يقرّر السّياق أنّ ربّ العزة والجلال خلق الإنسان الأوّل، وهو أبونا آدم عليه السلام، من خلاصة مستلّة من طين، ومن صفوٍ منتزعٍ من أديم الأرض وظاهرها. ومن ألطف ما توصّل العلم إليه، تأكيداً لهذا المعنى الّذي قرّره القرآن الكريم، أنّه تبيّن بالتّحليل أنّ جسد الإنسان فيه المعادن الموجودة في الأرض. وإنّ هذه النّتائج المعمليّة هي كذلك قوّةٌ لهذا الرّأي الّذي أخذنا به وهو أنّ آدم عليه السّلام خلقه الله تعالى من صفو مستخلصٍ من أديم الأرض.

ثمّ جعل الله سبحانه وتعالى ذرّيّة آدم عليه السّلام ماءً صافياً يخرج من صلب الرّجل كي يستقرّ في موضعٍ مكين ومكان أمين، هو رحم المرأة. وإلى هذه المرحلة أشارت الآية الكريمة من سورة السّجدة(١) قال عزّ من قائل : ﴿ثمّ جعل نسله من سلالة من ماءٍ مهين﴾.

ثمّ خلق الله سبحانه وتعالى النّطفة وصيّرها علقةً، وهي القطعة من الدّم الغليظ. فخلق العلقة مضغةً وقطعةً من اللّحم قدر ما يمضغ، وهي لا شكل فيها ولا تخطيط. فخلق المضغة عظاما وشكّلها ذات رأسٍ ويدين ورجلين بعظامها وعصبها وعروقها. فكسا العظام وألبسها لحماً. ثمّ أنشأ الله سبحانه وتعالى ذلك خلقاً آخر وإنساناً كاملاً. فتعظّم وتمجّد الله تعالى أحسن الخالقين وتكاثر خيره وفضله.

ثبت في الصّحيحين عن ابن مسعود قال : حدّثنا رسول الله ﷺ وهو الصّادق المصدوق: إنّ خلق أحدكم يجمع في بطن أمّه أربعين ليلةً ثمّ يكون علقةً مثل ذلك ثمّ يكون مضغةً مثل ذلك ثمّ يبعث الله إليه الملك فيؤمر بأربع كلمات فيكتب رزقه وعمله وأجله وشقيّ أو سعيد ثمّ ينفخ فيه الرّوح(٢).

ثمّ إنّا بعد خروجنا من بطون أمّهاتنا أحياء بإذن الله تعالى لميّتون بعد انقضاء آجالنا، ثمّ إنّا يوم القيامة لمبعوثون للحساب والجزاء، الثّواب أو العقاب.

---

(١) الآية ٨.

(٢) تفسيرابن كثير ٣/٢٠٦.

(٣)
(سخّر الله تعالى لنا ما في السّماوات والأرض لنعتبر)
الآيات (١٧ ـ ٢٢)

وَلَقَدْ

خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ﴿١٧﴾

ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق: ولقد خلقنا فوقكم أيّها النّاس سبع سماواتٍ بعضهنّ فوق بعض. والعرب تسمّى كلّ شيءٍ فوق شيءٌ طريقة. وإنّما قيل للسّماوات السّبع سبع طرائق لأنّ بعضهنّ فوق بعض، فكلّ سماءٍ منهنّ طريقة(١) قال الزّجّاج: أراد السّماوات السبع. وإنّما سمّيت بذلك لتراكبها. والسّماوات السّبع والأرضون السّبع طرائقُ بعضها فوق بعض(٢) وأطرق جناح الطّائر: لبس الرّيشُ الأعلى الرّيش الأسفل. وأطرق عليه اللّيل: ركب بعضه بعضا(٣) ومنه ريشٌ طِراق، إذا كان تطارق بعضه فوق بعض(٤) والطّريق، وذلك أنّه شيءٌ يعلو الأرض. ونعلٌ مطارَقة، أي مخصوفة. وخُفّ مطارَق، إذا كان قد ظُوهر له نعلان. وكلُّ خَصْفةٍ طِراق. وتُرْسٌ مُطَرَّق، إذا طورِق بجلدٍ على قَدْره(٥) وطارق الرّجل بين نعلين وثوبين: لبس أحدهما على الآخر. وطارق نعلين: خَصَف إحداهما فوق الأخرى، وجِلد النّعل طِراقُها. الأصمعيّ: طارَقَ الرّجلّ نعليه إذا أطبق نعلاً على نعلٍ فُخرِزتا، وهو الطِّراق(٦).

---

(١) تفسير الطّبري ١٨/ ١٠.

(٢) لسان العرب: «طرق».

(٣) لسان العرب: «طرق».

(٤) معجم مقاييس اللّغة: «طرق» ٣/ ٤٥٣.

(٥) معجم مقاييس اللّغة: «طرق» ٣/ ٤٥٢.

(٦) لسان العرب: «طرق».